١٥ يا عزيزي كلهم لصوص

في الأيام القليلة الماضية وبالتحديد بعد تولي الإخوان السلطة في مصر.. وفي إطار المشكلات التي بات يعج بها الشارع المصري.. عقد المثقفون مقارنات بين عصر عبد الناصر وزمن الإخوان وعقد البسطاء مقارنة بين نظام مبارك المخلوع ونظام الإخوان. وخرجت من هذه المناقشات وتلك المقارنات بأن هناك ثلاثة أنظمة للحكم ليس في مصر وحدها بل في معظم الدول العربية وأن نظرية الحكم والإدارة واحدة مهما تغيرت الأنظمة أو سقطت فإنها تنهل من معون واحد يحول بمقتضاه الدولة إلى عزبة يملكها الرئيس وحاشيته. وجاءت الأنماط الثلاثة للنظم الحاكمة كما يلي: أولًا نمط "اللص الغبي".

ووفق هذا النمط ينهل الرئيس وحاشيته من كرسي السلطة حتى السُكر. ولا يعترف بعامل الزمن، ولا يقدر إرادة الشعب في التغيير، ولا يعتني بمصالح الشعب اعتناءه بمصالحه الشخصية، وتسيطر عليه الرغبة في البقاء بالحكم والاستفادة الشخصية قدر الإمكان. ورغم ذلك كله لا يمتلك هذا النظام سوى خططًا هزيلة، لا ترقى لطموحاته الكبيرة في الاستفادة وخداع الشعب، وتنويم إرادته الحرة في التغيير والعيش الكريم. وهنا يتجه هذا النظام إلى توفير الموارد المالية بأي طريقة، تارة بمزيد من الضرائب التي

تثقل كاهل الكادحين، وتارة أخرى بالاتجاه إلى بيع أراضي ومرافقها الأساسية؛ بغرض توفير قدر من الاستقرار المالي؛ يضمن عدم تذمر الشعب من أوضاعه. وهنا تتحدد ملامح هذا النمط الإداري الغبي في "الأرض مقابل الاستقرار" ليصحو الشعب بعد غفوة طويلة ليجد أن مستقبله المتمثل في الأرض، قد بِيع لحفنة من رجال النظام وحاشيته فتقوم الثورات .. ولعل هذا النمط الغبي يحاكي بقوة سياسات نظام مبارك وما آلت إليه.

أما النمط الثاني فهو نمط "اللص المحترف" ويتمثل في النظام الذي يمتلك كفاءات إدارية عالية، تؤهله لإحداث نهضة تنموية كبيرة، يشعر بها كل أفراد الشعب، وتتلخص لصوصيتهم في العملات والسمسرة التي يحصلون عليها بشكل شرعي وغير شرعي من ناتج ريع التنمية، دون الاقتراب من الأصول الثابتة للدول سواء بالبيع أو الإيجار. ولا أكون مفتريًا إذا قلت أن النظام الناصري يقترب من هذا النمط إلى حدٍ بعيد، فغالبًا ما يتسم أفراد هذا النمط بالوطنية، حيث يحتاج الشعب إلى سنوات طويلة لاكتشاف لصوصيتهم . فالشعب يعيش لحظات ازدهار ومستوى معيشي مناسب، يتحسن يومًا بعد الآخر؛ الأمر الذي يدعوه إلى الالتفاف حول هذا النمط الذي يسعى أفراده إلى تنفيذ وإنجاح مزيدًا من المشروعات؛ ليضمن لهم حصد المزيد من الأرباح والعمولات التي يعتقدون في مشروعيتها. وهنا ووفقًا لهذين النمطين تصبح الشعوب مجبورة على الاختيار بين نظامين أحدهما لص محترف "ينتج ويسرق" والآخر لص "أمين وغير منتج" ويظل الشعب دائمًا حائرًا يبحث عن الأمين المنتج باعتباره نموذجًا مثاليًا للنظام الوطني الرشيد.

وعلى الجانب الآخر يظهر النمط الثالث "اللص الأحمق" الذي يفتقر أعضاءه إلى الكفاءات الإدارية والمشروع الوطني، وربما تكون قدرات النظام ومشروعه أقل بكثير

من حجم الدولة وطموح الشعب (قرد يتزوج من غزال) ولا يهتم أفراده بالسرقة قدر اهتمامهم بالتمكين من السلطة أو الاستمرار فيها. ونظرًا لعدم امتلاكهم القدرة والمشروع؛ ليس أمامهم لكسب ثقة الشعب إلا ملء الخزانة بالأموال والتي لا تأتي غالبًا من عوائد التنمية، ولكن من خلال عرض الأصول الثابتة للدولة للبيع أو الإيجار. ويعبر هذا النمط بقوة عن سياسة نظام الإخوان الذي تعامل مع مصر وتاريخها ومواردها كمستأجر لشقة مفروشة وليس كمالك حسب النمط الأول والثاني، حيث لا يهتم المستأجر بتطوير المكان وزيادة إمكاناته، بل ينصب اهتمامه على كيفية استنزاف المكان والبقاء في الشقة أطول مدة ممكنة وإن تهالكت مرافقها.. ولهذا فقد اهتم الإخوان بالتمكين وليس بالتطوير، مما أحدث شللًا في مرافق الدولة وزرع مسامير الحماقة في نعش النظام.. فالحماقة أن يفعل النظام أفاعيل يوقن في نفعها للشعب وهي في الواقع تلحق به الضرر الجسيم.. وربما لم يكن ذلك بدافع الخبث وإنما بالحماقة.. فلا فرق بين نظام يملك ليسرق ونظام ينتج ليسرق ونظام يتمكن ليسرق .. فإذا كان مبارك قد باع الأرض والقطاع العام تحت غطاء الخصخصة، فالإخوان يطرحون فكرة تأجير مرافق الدولة الأساسية تحت غطاء الصكوك الإسلامية .. وإذا كان مبارك سرق الأرض فالإخوان يسرقون التاريخ، وإذا كان نظام مبارك أعمى البصر فإن نظام مرسي أعمى البصيرة .. غبي كل من استغبى الشعوب واستهان بقدرتهم على التغيير.. وأحمق كل من تصور خداعهم طول الوقت.. !!

□ □ □ □